الإهـــداء

إلى شهداء الحرية الذين قالو "لا" للظلم والفساد والاستبداد .

إلى الشعوب العربية الثائرة ضد حكّامها من أجل الحرية والديمقراطية .

إليهم جميعا . . . أهدي هذا الكتاب .

المؤلف

أفريل 2011

obeikandl.com

بـــوح

وطني أسير عمامة وقبعة

صوته المبحوح هديل حمامة

يردد على كل صومعة :

ما أضيق الحلم في ظل عمامة !

ما أتعس العيش تحت القبعة !

رابح خدوسي

obeikandl.com

تصدير

بقلم: د. إبراهيم صحراوي

(جامعة الجزائر)

للمجتمع حقوق على الأنتلجنسيا، على مفكّريه وأدبائه وكتّابه باعتبارهم وعيه اليقظ وضميره الحي. فهم حرّاسه والأمناء على هوّيته وقيمه وذاكرته وتراثه وحياته. هم الروّاد حملة مشعل التنوير والتقدّم. من حقّ المجتمع عليهم إذن القيام بهذه المهمّة بكلّ تفان وإخلاص، ومن ثمّ تقويم مسيرته بتثمين الجيِّد الحسن فيها وتشجيعه وانتقاد السيئ المعوج منها ومحاربته.

ولأن المثقَّف مُطالَب بفعل الكثير من أجل مجتمعه، ولأن رابح خدوسي(مثقف عضوي) مندمج تماما

في مجتمعه ومتفاعل مع قضاياه ومشاكله فهو يقدم لنا في هذا الكتاب تحليلات لقضايا وتشخيص لمشاكل يشفعها باقتراحات لن يضير أحدا تطبيقها واختبارها في أرض الواقع، يفعل هذا لأنه لم يعد ممكنا حسب المفكِّر الإيطالي غرامشي "أن يتمحور نسق حياته حول الفصاحة والإثارة السطحية والآنية للمشاعر والأهواء، بل صار لزاما عليه أن يشارك مباشرة في الحياة العملية كبان ومنظم مقنع دائما..."

ونضيف من جهتنا أن الكلمة الصّادقة المخلِصة الداعية إلى المعروف والناهية عن المنكر والمبينة لسُبُل الرشاد، والانتقاد الهادف البنَّاء والملاحظة الثاقبة الجادَّة وإذاعتها في الناس عبر الآليات والوسائط المتاحة خطوة أولى نحو التغيير وقيادته، - وأعتقد أن في كلام الكاتب خدوسي شيئا من كل هذا- فينتقل المثقَّف بذلك من مجرد فارس منابر وخطيب يزول أثر خُطبه بمرور لحظات إلقائها وتفرّق المستمعين إلى موجِّه

وقائد وهادٍ وأداة ضغط تقف في وجه الانحرافات والتلاعبات وما أكثرها، خصوصا في الفترات الصَّعبة الحرجة التي تواجه الأمَّة وقد عشنا كثيرا منها في العشرية الأخيرة من القرن المنصرِم.

انطلاقا من هذا المفهوم وإيمانا بهذا الدَّور، يذهب صديقنا رابح خدوسي في الصفحات الموالية متسلِّحا بوعي المثقَّف الجادّ، وعقل المفكِّر المتزن الراجح، وروح الملاحظ الاجتماعي النقدية المتميزة، وإحساس الأديب المرهف ومعاناة المُحبّ الوفيّ إلى تفحُّص أحوال مجتمعه وإبداء رأيه في كثير من القضايا فنشاركه أحلامه وآماله ونأسف لأسفه وننضمّ إليه في دهشته وعتبه ونغضب لغضبه، نرفض معه كلّ النقائص والسلبيات وما أكثرها، ونتألّم عندما نراها تأخذ طابعا رسميا خصوصا ما تعلَّق منها بالجهوية المقيتة التي تميِّز بين أبناء الشعب الواحد والتهميش جملة وتفصيلا، أوالعبث بمقوِّمات الشعب ومكوِّنات هويته، أوالتبذير، هذا

السلوك السيئ الذي يبعثر أموال الشعب يمنة ويسرة في نشاطات وتظاهرات ومبادرات لا معنى لها، كما نتألَّم معه أيضا لسلوكيات وتصرفات تصدر للأسف الشديد من مثقَّفين تجاه بعضهم بعضا تنسينا ما يرتكبه في حقِّهم السياسيون وتوابعهم، لعلَّ أهمَّها وأشدَّها وطأ على النفس التهميش والإقصاء بإقامة الحواجز المختلفة من رقابة وقصٍّ وتجاهُل وتسفيه آراء وتحريض وما إلى ذلك. نتفاعل معه في كثير من أحاسيسه ومشاعره ورؤاه، فنبتسم حيثما يجب ونقطِّب حيثما ينبغي. قد نختلف معه في التفاصيل وفي طريقة الطرح غير أنَّنا نتَّفق معه في الإطار العام للقضية وفي جوهرها أحيانا.

تنوعت اهتمامات رابح في مقالاته الموالية فمنها السياسية والاجتماعية والثقافية، ولم يغب فيها النقد الأدبي.

الأحاديث الموالية هي في معظمها قراءات سريعة لظواهر مختلفة نراها ونلمسها، تمسُّنا آثارُها بصورة

مباشرة أو غير مباشرة، هي مداخلات ألقيت في ملتقيات وطنية وعربية، ومقالات (أو تعقيبات) في صحف ومجلاّت وطنية، كُتِبت كلُّها بلغة بسيطة صريحة واضحة بعيدة عن التنميق والتزويق أو التقعُّر والتفيقه، لأن غرضها كان منذ البداية واضحا هو التعبير عن آراءٍ وأفكارٍ وتوصيلها إلى كلّ من يهمُّه الأمر خاصّة وعامة، نُخبا وجماهير، حكّاما ومحكومين، ولعلَّ كون العامَّة والجماهير طرفا مهمّا ممن تتوجَّه إليهم هذه المقالات عمد فيها صاحبها إلى التبسيط والتعميم وعدم التعمُّق خصوصا في بعض القضايا المصيرية والإشكالات المطروحة على السَّاحة الفكرية الثقافية الجزائرية.

الأحاديث الموالية هي كما أرادها صاحبها سباحة ضد التيار، لكن ليست ضد تيار المجتمع. بل ضد تيار العابثين بآمال وأحلام أفراده. عكس التسيير العشوائي. عكس المفاهيم المغلوطة، عكس كلّ ما

من شأنه أن يؤثّر في وحدة هذا الشعب وإيمانه بهويته بكل مكوِّناتها وبانتمائه بكل أبعاده وبصبره وأمله في غدٍ مُشرق.

الحامَّة، عين ازال (سطيف) في: 29-03-2010م
الموافق 14-04-1431هـ

obeikandl.com

كلمة المؤلف

هذه كتابات عابرة في فضاء الفكر والأدب والمجتمع، نشرتها في مختلف المنابر عندما كانت الكلمة الحرة مقيدة ولها ثمن وضريبة، كتابات بعضها مصبّه ثقافي والبعض الآخر أفكار سابحة في اتجاهات شتى، يلتقي أغلبها في نقد الفكر السياسي الحاكم ويجمع على معاكسة تياره السائد...

وإذا كان من الصعب أن تسبح ضد هذا التيار دون سند أو مدد، سيّما إذا كانت السباحة في حوض ماء مجمّد أوفارغ، فإن الصعوبة تزداد إذا كنت تسبح بالكلمات والأفكار في فضاء ليس به مكان خارج الصف... مثلما هو حال بلادنا اليوم...

عندها تتحول الكتابة إلى مغامرة نضالية لاتعرف عواقبها، وهنا تتجلى المفارقة إذ يعيش الكاتب لحظة

obeikandl.com

انتعاش قصري عجيبة، تمتزج فيها اللّذة بالألم، ويتشابه الوجع بالمتعة...

وهذا حينما يجد الكاتب فيما يكتب متنفسا وراحة تشبه راحة الفلاّح بعد زرعه أرضه البور أو راحة الحبلى حين تضع حملها، لأن قوة الكلمة التي يحملها أثقل من الجبال. فإذا كان ظهرك يستطيع حمل قنطار فإن صدرك ينوء بحمل كلمة حق تريد التحرر، وذاكرتك المحتفظة بعشرات الأسرار لا تستطيع التحفظ على فكرة متمردة تريد الخروج من سجنها..

لذلك أن تقول الحقيقة مُرَّة وتنتظر قدرك، خير من أن تبتلعها وتسكت، فتقتلك مرارة الصمت كلّ يوم مئات المرات.

فمن الصعب أن تعيش المتناقضات ولا يتحرك قلمك، كأن ترى مجتمعك يعاني من غيبوبة حضارية في زمن التدجين الفكري والتهجين اللغوي وتغييب الوعي وتسكت.

أوأن ترى سهل متيجة الخضراء يتحول إلى إسمنت، بقرارات رسمية وتصمت، أو أن تشاهد مرابع الطفولة في جبال الأطلس البليدي (من الشريعة إلى بني ميسرا) تحترق كلّ صيف (2007م - 2010م) في عملية منظمة تشبه عملية التشجير كلّ ربيع وتصمت.

أو أن ترى أجسام الوفود الأجنبية ترتعد رقصا في المهرجان الدولي للرقص المعاصر، الذي تموّله خزينة الدولة(ديسمبر2010م) ثم تطلعك الأخبار أن التلاميذ يرتعدون من شدة البرد - لانعدام وسائل التدفئة - في مدارس ولاية ورقلة التي تموّل الخزينة العمومية من بترول أحواضها وتصمت، ليصبح صمتك هنا خيانة..

هذه كتابات عابرة عساها تفيد قارئا افتراضيا يبحث عن الحقيقة في أحوال عصرنا.

الجزائر في : 06. 01. 2011م

رابح خدوسي

ملاحظة :

في ختام كتابة هذه الكلمة (05 جانفي 2011) وهذا الكتاب في طريقه إلى الطبع بإشراف الأستاذ بغدادي، ومن عجائب المصادفات وقوع صراخ قوي في سماء الجزائر كسّر جدار الصمت، تمثّل في مظاهرات شبانية في كامل أنحاء البلاد، وقعت خلالها أحداث مؤسفة وأضرار جسيمة بشرية ومادية، ومواجهات عنيفة مع قوات الأمن. متزامنة مع انتفاضة الشعوب العربية الأخرى من أجل التحرر من بطش الحكام والتي تسبّبت في خلع رئيس الدولة التونسي زين العابدين بن على ونظامه، ثم أسقطت في مصر حكم حسني مبارك وحزبه وفي ليبيا واليمن وسوريا .....

obeikandl.com